دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي بمكة المكرمة

دراسة تاريخية حضارية

أ. د. ناصر بن علي الحارثي
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى

تكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي بصفتها أول مدرسة في الإسلام، وتحديد موقعها بصورة علمية دقيقة تستند على الخرائط القديمة والحديثة، فضلاً عن تتبع تاريخ عمارتها، ووصفها من الناحيتين التخطيطية والمعمارية، ووضع مساقط وقطاعات لها من خلال أوصاف المؤرخين والرحالة، كما تهدف هذه الدراسة إلى تصحيح بعض المعلومات التي وردت عند بعض المؤرخين والرحالة أيضاً، وذلك من خلال المحاور الرئيسة الآتية:

أولاً: اسم الدار

أول ما عرفت به هذه الدار من الأسماء "دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي"، نسبة إلى صاحبها زمن الرسول ﷺ الصحابي الجليل الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي(١) الذي يكنى أبا عبدالله، من قدماء الصحابة وكبارهم، وهو عبدمناف بن أسد بن عبدالله بن عمر

(١) أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة وما فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ج٢، ط٣ (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ٢٦٠.

بن مخزوم[٢]، وأمه أميمة بنت الحارث بن حبالة بن عمير بن غشبان من خزاعة، وخاله نافع بن عبدالحارث الخزاعي عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مكة المكرمة[٣].

من السابقين إلى الإسلام، أسلم بعد عشرة أنفس[٤]، وقيل: أسلم بعد ستة أنفس[٥]، والرأي الأول هو الأرجح بإجماع عدد غير قليل من المؤرخين، وبذلك فهو يأتي في المرتبة الحادية عشرة بين السابقين إلى الإسلام. كان من أوائل المهاجرين إلى المدينة المنورة، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[٦].

(٢) انظر في ترجمته أيضاً: عبدالله بن هشام بن أيوب المعافري الحميري، السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، ج١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ٢٦٩، ٢٧٠. أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ج١، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ١٣١. وموفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، ط٢ (بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ٣٨٨ – ٣٨٩. وعز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، ومحمود عبدالوهاب فايد، ج١، (القاهرة: دار الشعب، د. ت)، ٧٤، ٧٥. وابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، حقق أصوله، وضبط أعلامه، ووضع فهارسه علي محمد البجاوي، ج١، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ٤٣-٤٥، وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون، ط٣ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ١٤٣. ومحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، الطبقات، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ١/١٨٣، ١٨٥. وأبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، ج٣، (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م)، ٢٨٠-٢٨٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٣/١٨٣. والأندلسي، جمهرة، ١٤٣.

(٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١/١٣١. والمقدسي، التبيين، ٣٨٩. والجزري، أسد الغابة، ١/٧٤، ٧٥. وابن حجر، الإصابة، ١/٤٣-٤٥. والفاسي، العقد، ٣/٤٣-٤٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ٣/١٨٣.

(٦) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١/١٣١. والمقدسي، التبيين، ٣٨٨، ٣٨٩. والجزري، أسد الغابة، ١/٧٤-٧٥. وابن حجر، الإصابة، ١/٤٣-٤٥. وابن سعد، الطبقات، ١/١٨٣. والفاسي، العقد، ٣/٢٨٠.

اختلف في وفاته، فقيل: توفي يوم توفي أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقيل: توفي سنة خمس وخمسين بالمدينة المنورة، وهو ابن بضع وثمانين، وأوصى أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان بالعقيق، فقال مروان: أيحبس صاحب رسول الله ﷺ لرجل غائب، وأراد الصلاة عليه، فأبى عبيدالله بن الأرقم ذلك على مروان، وقامت بنو مخزوم معه، فجاء سعد، فصلى عليه(٧).

وتجدر الإشارة إلى أن الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو في حياته قد تصدق بهذه الدار على أبنائه، ففي رواية أوردها ابن سعد عن يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم عن جده عثمان قال(٨): "... فقرأت نسخة صدقة الأرقم بداره: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قضى الأرقم في ربعه ما حاز الصفا إنها محرمة بمكانها من الحرم لا تباع ولا تورث، شهد هشام بن العاص وفلان مولى هشام بن العاص".

ومن أسماء هذه الدار "دار الإسلام"، فهي حصنه الأول، ومعقل قادته العظام، وإشادة بما لها من الفضل في نصرة الدين، وحماية الدعوة الإسلامية وهي ما تزال في مهدها، وإيواء أبطالها الأربعين، فكان اسماً جديراً بماضيها المجيد، وأثرها في خدمة الإسلام(٩)، فقد كان الرسول ﷺ يدعو فيها إلى الإسلام، ويجتمع فيها سراً بالمسلمين خوفاً من أن تنال منهم قريش، يشرح لهم فيها الإسلام، وتعاليمه السمحة، ويؤدي بهم فيها الصلاة، ويعلمهم ما

كان دار السلام اسماً جديراً بماضيها المجيد، وأثرها في خدمة الإسلام

(٧) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١٣٢/١. والمقدسي، التبيين، ٣٨٩. والجزري، أسد الغابة، ٧٥/١. وابن حجر، الإصابة، ٤٤/١. وابن سعد، الطبقات، ١٨٥/٣. والفاسي، العقد، ٢٨١/٣، ٢٨٢.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ١٨٤/٣.

(٩) السيد أحمد العربي، "دار الأرقم بن أبي الأرقم أول طلبة في الإسلام"، المنهل، مج٦، ع١١ (ذو القعدة ١٣٦٥هـ)، ٥٤٠.

أنزل عليه من القرآن بوساطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون في الشعاب؛ فيصلون فيها سراً، وحدث في السنة الرابعة من النبوة أن رآهم نفر من كفار قريش؛ فسبوهم وقاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً، فسال دمه؛ مما حدا برسول الله ﷺ أن يتخذ هذه الدار مكاناً يجتمع فيه سراً بأصحابه بعد هذه الحادثة مباشرة حتى إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة، وهذا يعني أن الاجتماعات السرية في هذه الدار دامت حوالي عامين، وربما يرجع السبب في اختيار هذه الدار مكاناً لاجتماع الرسول ﷺ بمن أسلم إلى انكفائها عن الكعبة المشرفة خلف الصفا، ولبعدها عن شعب بني هاشم.

وفيها أسلم من أعز الله به الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنها خرج الرسول ﷺ والمسلمون في صفين، أحدهما فيه عمر، والآخر فيه حمزة رضي الله عنهما إلى الكعبة المشرفة بعد أن ظل المسلمون لا يجرؤون على الخروج إليها، ومنها صدح صوت الإسلام في وادي إبراهيم على مرأى ومسمع من المشركين(١٠).

ومن أسماء هذه الدار أيضاً "المختبأ"(١١)؛ لأن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام كانوا يختبئون فيها عندما كانت الدعوة الإسلامية في مرحلتها السرية على النحو الذي أشرنا إليه آنفا.

ومن أسمائها "دار الخيزران"، نسبة إلى الخيزران زوجة المهدي وأم الخليفتين موسى الهادي وهارون الرشيد(١٢)؛ ذلك أن الخليفة

---

(١٠) انظر قصة إسلام عمر مفصلة في: ابن هشام، السيرة، ١/٣٦٧ - ٣٧٥.

(١١) علي بن عبدالقادر الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق أشرف أحمد الجمال، إشراف سعيد عبدالفتاح، ط١ (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٧٠. وعبدالملك بن عبدالقادر بن علي المعروف بالطرابلسي، ملخص مناسك الحج ويليه دليل الآثار المطلوبة في مكة المحبوبة، ط١ (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ١٣.

(١٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٨، ط٢ (بيروت: دار سويدان، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ٢٣٢.

العباسي أبا جعفر المنصور اشترى هذه الدار من أبناء الأرقم، ومنحها لولده المهدي، ثم أهداها المهدي لزوجته الخيزران(١٣)، فأعادت - رحمها الله - توظيف هذه الدار بجعلها مسجداً يصلى فيه(١٤)، واشترت دوراً حولها عرفت بدار الخيزران، وقد عد الفاسي دار الخيزران من أربطة مكة المكرمة(١٥)، إلا أن هذا لا يعني أن دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي التي أعيد توظيفها عام ١٧١هـ؛ لتصبح مسجداً بعد أن كانت دارا للسكنى قد قامت بدور الرباط الذي يسكنه الفقراء، وطلبة العلم، والغرباء، بل إن الرباط الذي عناه الفاسي يتمثل في الدور التي اشترتها الخيزران حول دار الأرقم.

وقد أحسن محمد الصباغ(١٦) حين ذكر أن هذه الدار - أي: دار الخيزران - عبارة عن دور عدة حول المختبأ (دار الأرقم)، الذي كان الرسول ﷺ والمسلمون يجتمعون فيه سراً قبل إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

كما أسماها المقدسي دار الأربعين(١٧)؛ لأن عدد الصحابة الذين كانوا يجتمعون فيها بلغ أربعين صحابياً(١٨).

---

(١٣) ابن سعد، الطبقات، ٣/١٨٤.

(١٤) الأزرقي، أخبار، ٢/٢٠٠.

(١٥) أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حققه ووضع فهارسه عمر عبدالسلام تدمري، ج١، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ٥٣٢.

(١٦) محمد بن أحمد الصباغ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام، نسخة مصورة على ميكرو فيلم بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، لوحة ١٦٧.

(١٧) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر البنا، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢ (ليدن: ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، ٩٦.

(١٨) العربي، (دار الأرقم)، ٥٤٠.

ثانياً: موقع الدار

أجمع المؤرخون المكيون[١٩]، وكذلك الرحالة[٢٠] الذين زاروا مكة المكرمة على أن دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي تقع عند الصفا (لوحة رقم ٢)، فالأزرقي وهو أقدم مؤرخ مكي ذكرها في ربع آل الأرقم عند الصفا، وتفصلها عن المسجد الحرام طريق مسلوكة عرضها مئة ذراع واثنا عشر ذراعاً ونصف ذراع[٢١]، وزاد

(١٩) الأزرقي، أخبار، ٢/٢٠٠. وأبو عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق عبدالملك بن عبدالملك بن دهيش، ج٤، ط٢ (بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ١٢. والفاسي، العقد، ١/٩٨. والفاسي، شفاء، ١/١٢٢. والنجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، ج١، ط٢ (مكة المكرمة: مطابع جامعة أم القرى، إصدار: مركز البحوث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، سلسلة من التراث الإسلامي، الكتاب العشرون، د.ت)، ٢٦٧. ومحمد بن أحمد بن محمد النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق وتقديم: هشام عبدالعزيز عطا، إشراف: سعيد عبدالفتاح، ط١ (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٣٩٢. والطبري، الإرج، ٧٠. وأحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الهاشمي، كتاب العقد الثمين في فضائل البلد الأمين، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، ط١ (بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠١م)، ١١٥.

(٢٠) أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة بـ: رحلة ابن جبير، ط٢ (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦م)، ١٢٩، ١٣٠. والقاسم بن يوسف التجيبي السبتي، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق وإعداد عبدالحفيظ منصور، (ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب، د.ت)، ٣٣٦. وحمد الجاسر، ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي، ط٢ (الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ١٣٨. ومحمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ط٣ (الطائف: مكتبة المعارف، د.ت)، ٥٥. وإبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية، ج١، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ١٩٢. ومحمد حسين هيكل، في منزل الوحي، ط٤ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م)، ٢٣١ - ٢٣٤.

(٢١) الأزرقي، أخبار، ٢/١١٩، اختلف في تقدير الذراع، ففالتر هنتس قدره بـ ١٨٧ و٥٨ سم، وباسلامه قدره بـ ٥٦,٥سم، فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، ط١ (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م)، ٨٧. وحسين عبدالله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، ط٣ (جدة: تهامة، سلسلة الكتاب العربي السعودي رقم ١٩، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ٦٨.

الفاكهي على ذلك بأنها تقع خلف دار أحمد بن إسماعيل على الصفا[٢٢]، كما عدها مؤرخو مكة المكرمة حد المعلاة من شق مكة المكرمة الأيمن[٢٣].

وقد ظلت هذه الدار خارج المسجد الحرام؛ إذ كانت تشاهد على يسار الصاعد إلى الصفا من المسجد الحرام من الناحية الشرقية، وذكر الكردي[٢٤] أنها كانت تبعد عن الحافة الشرقية للمسعى مما يلي الصفا بمقدار ستة وثلاثين مترًا باستقامة خط المشي، أو ثمانية وأربعين متراً إذا انعطف السالك ناحية الحارة التي كانت تقع بها الدار، ثم أدخلت في التوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م؛ حيث هدمت في ١٣٧٥/١٠/٢٨هـ.

وأكد ذلك أيضاً السباعي[٢٥]، حيث ذكر أن هذه التوسعة شملت الدار، وحدد موضعها بأنه على بعد ثلاثين متراً من الباب الذي يخرج منه إلى عمارة الأوقاف الجديدة التي أزيلت أيضاً فيما بعد.

ومن خلال خريطة هيئة المساحة المصرية التي رسمت للمسجد الحرام والمنطقة المحيطة به، يتبين لنا أنها كانت تقع خارج المسجد على مقربة منه كما ذكر كل من الكردي والسباعي والبلادي، بين باب النعوش[٢٦]

(٢٢) الفاكهي، أخبار، ٢٠٨/٢.

(٢٣) الأزرقي، أخبار ٢٦٦/٢. والفاكهي، أخبار، ٢٠٨/٢. والفاسي، شفاء، ٣٣/١.

(٢٤) محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج٢، ط١ (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، د. ت)، ٨٨.

(٢٥) أحمد السباعي، تأريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ط٧ (مكة المكرمة: مطابع الصفا، إصدار نادي مكة الثقافي، سلسلة رقم ٦، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ١٥٧.

(٢٦) كان هذا الباب أول باب في الجدار الجنوبي للمسجد الحرام مما يلي الشرق، عرف منذ إنشائه في عهد الخليفة العباسي المهدي باسم: باب بني عائذ، ثم في القرن الخامس الهجري عرف باسم: باب الدقاقين، ثم عرف منذ العصر المملوكي حتى تم هدمه في التوسعة السعودية الأولى عام ١٣٧٥هـ باسم: باب بازان، ثم باب النعوش. طه عبدالقادر عمارة وعدنان محمد فائز الحارثي، دراسة تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام، بحث غير منشور معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بجامعة أم القرى (غير مؤرخ)، ٩٣، ٩٤.

وباب البغلة[٢٧]، حيث يصعد إليها الخارج من باب البغلة مخترقاً بداية المسعى مما يلي الصفا سالكاً زقاقاً ضيقاً ينعطف منه يساراً إلى الدار (اللوحتان ٢، ٤).

وقد ذكر البلادي أن مكانها كان في ساحة وقوف السيارات شرق المسعى، وذكر أيضاً أنه رأى في مكانها علامة لا يعرفها أكثر الناس اليوم[٢٨] (لوحة رقم٣).

ثالثاً: تاريخ عمارتها

بنيت هذه الدار قبل الإسلام، وكانت سكناً لآل الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، ثم لما آلت إلى الخيزران أمرت بتحويلها إلى مسجد عام ١٧١هـ/٧٨٧م[٢٩]، إحياء لذكرى هذه الدار بجوار دورها التي اشترتها؛ لذلك عرفت باسم "دار الخيزران" من باب إطلاق الجزء على الكل، حيث أشارت المصادر التاريخية إلى قيام الخيزران بشراء عدد من الدور حولها، فهدمتها، وبنتها داراً لها[٣٠]، وبذلك فإن دار الأرقم ليست دار الخيزران، بل كانت بجوارها[٣١].

وقد وهم بعض المؤرخين[٣٢] أن دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي دخلت في توسعة المسجد الحرام التي تمت في عهد الخليفة العباسي

---

(٢٧) يقع هذا الباب بالجدار الجنوبي للمسجد الحرام غربي باب النعوش، عرف منذ إنشائه في عهد الخليفة العباسي المهدي باسم: باب بني سفيان بن عبدالأسد، وذكره الأزرقي باسم باب السمانين، كما ذكره ناصر خسرو باسم: باب الفساتين، وربما قصد السفيانيين، ولكن الكلمة حرفت للغته الأعجمية، كما سمي: باب الخياطين في القرن الثامن الهجري إلا أن اسم باب البغلة أصبح علماً عليه منذ العصر المملوكي حتى تم هدمه في التوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام عام ١٣٧٥هـ. طه وآخر، دراسة، ٩٧، ٩٨.

(٢٨) عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١ (مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٢٧٢.

(٢٩) الأزرقي، أخبار، ٢/٢٠٠.

(٣٠) النهروالي، الإعلام، ١٤٧.

(٣١) السباعي، تأريخ، ١٥٧، حاشية ٥.

(٣٢) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، جـ١٠، ط٣ (د.م: د.ن، ١٩٧٩م)، ١٦٤. والكردي، التاريخ، ٢/٨٨.

المهدي فيما بين عامي ١٦٤- ١٦٧هـ/ ٧٨٠-٧٨٣م، وهو وهم في غير محله، للأسباب الآتية[٣٣]:

١ - إجماع المؤرخين على أن دار الأرقم كانت في الصفا، وموضعها لم يمتد إليه المسجد الحرام إلا في التوسعة السعودية الأولى عام ١٣٧٥هـ.

٢ - إنه لو أدخلت هذه الدار في توسعة المهدي للمسجد الحرام لأشار إلى ذلك المؤرخون، الذين أفاضوا في الحديث عن الدور التاريخية الأخرى التي أدخلت في التوسعة آنذاك، وهي أقل أهمية منها.

٣ - إن توسعة المهدي شملت باب إبراهيم وباب الزيادة، ولم يزد في المسجد حتى زمن الفاسي أي زيادة في الجهة التي تقع فيها الدار، وحتى الزيادة العثمانية في هذه الجهة لم تمتد إلى الدار.

٤ - إن الخيزران بنتها مسجداً عام ١٧١هـ/٧٨٧م، والتوسعة المشار إليها تمت فيما بين عامي ١٦٤-١٦٧هـ/٧٨٠-٧٨٣م، فلو أدخلت الدار في التوسعة فكيف تبنيها مسجداً، وقد أصبحت جزءاً من المسجد الحرام.

٥ - ما بين الصفا والمسجد الحرام في صدر الإسلام كان مسيلاً ووادياً نازلاً، إذاً كان الصفا منفصلاً عن المسجد الحرام، وهذا يعني أن دار الأرقم كانت على قمة جبل الصفا، وبينها وبين المسجد الحرام مسيل الوادي.

وقد جددت عمارة هذا المسجد مرات عدة خلال العصر الإسلامي، حيث جدد عمارته أمين الملك مصلح[٣٤]، وأشار البتنوني إلى أن هذا التجديد سُجِّل على حجر من الصوان نقش عليه

(٣٣) الكردي، التاريخ القويم، ٢/٨٨، ٨٩.

(٣٤) لم أعثر له على ترجمة.

ما نصه(٣٥): "بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦] . هذا مختبأ رسول الله ودار الخيزران، وفيها مبتدأ الإسلام. أمر بتجديده الفقير إلى مولاه أمين الملك مصلح ابتغاء ثواب الله ورسوله. والله لا يضيع أجر المحسنين".

كما جدد عمارته الوزير الجواد جمال الدين شرف الإسلام أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م(٣٦)، وقد سُجِّلت هذه العمارة على حجر من الصوان مثبت في الركن الشرقي من هذه الدار، نصه(٣٧): "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا مختبأ رسول الله ﷺ المعروف بدار الخيزران. أمر بعمله وإنشائه العبد الفقير لرحمة الله تعالى جمال الدين شرف الإسلام أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني وزير الشام والموصل. الطالب الوصول إلى الله تعالى. الراجي رحمته. أطال الله في الطاعة بقاه. وأَنَالَه في الدارين مناه سنة خمس وخمسين وخمسمائة".

ووصفها ابن جبير بقوله(٣٨): "دخلنا دار الخيزران التي كان منها منشأ الإسلام، وهي بإزاء الصفا، ويلاصقها بيت صغير عن يمين الداخل إليها كان يسكنه بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويدخل إليها على حلق كبير شبيه

(٣٥) البتنوني، الرحلة، ٥٥، وقد جانب الصواب الفاسي في قراءة هذا النقش؛ مما أوقعه في خطأ نسبة هذه العمارة إلى شخصية غير الشخصية التي سجل النقش باسمها.

(٣٦) الكردي، التاريخ القويم،٩١/٢. وجمال الدين أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني وزير الآتابك صاحب الموصل، عُرف بالجواد، لجوده، وكان كثير الصلات والبر والصدقات، له مآثر كثيرة بمكة المكرمة والمدينة المنورة، توفي عام ٥٥٩هـ. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، إشراف: شعيب الأرناؤوط، ج٢٠، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ٣٤٩، ٣٥٠. والفاسي، العقد، ١١٢/٢ - ٢١٧.

(٣٧) البتنوني، الرحلة، ٥٥.

(٣٨) ابن جبير، رحلة، ١٣٠.

الفندق، قد أحدقت به البيوت للكراء من الحاج، والدار المكرمة دار صغيرة يجدها الداخل إلى الحلق المذكور عن يساره، وهي مجددة البناء أنفق في بنائها جمال الدين، المذكور أثره الكريم في هذا المكتوب، نحو الألف دينار، نفعه الله بما أسلفه من العمل الصالح. وعن يمين الداخل الدار المباركة باب يدخل منه إلى قبة كبيرة بديعة البناء، فيها مقعد النبي ﷺ، والصخرة التي كان إليها مستنده، وعن يمينه موضع أبي بكر الصديق، وعن يمين أبي بكر موضع علي بن أبي طالب، والصخرة التي كان إليها مستنده هي داخلة في الجدار كشبه المحراب".

وكذلك عمرها الخليفة العباسي أبو جعفر المستنصر بالله(٣٩)، فيما بين عامي ٦٢٤-٦٣٤هـ/١٢٢٦-١٢٣٦م على الأرجح(٤٠)، كما عمرته مجاورة يقال لها: مرة العصماء(٤١)، ثم عمر أيضاً في عام ٨٢١هـ/١٤١٨م بأمر السلطان المملوكي المؤيد شيخ المحمودي، وكان المتولي على هذه العمارة علاء الدين علي بن ناصر محمد بن الصارم المعروف بالقائد(٤٢).

وقد وصف الفاسي هذه العمارة بقوله(٤٣): "وطول هذا المسجد ثمانية أذرع إلا قيراطين، وعرضه سبعة أذرع وثلث، الجميع بذراع الحديد"، (اللوحتان ٥، ٦).

(٣٩) الكردي، التاريخ القويم، ٢/٩١.

(٤٠) بنيت هذا الرأي استنادًا إلى العثور على عدد من النقوش الكتابية التي تؤرخ لأعمال معمارية أمر بها هذا الخليفة في الكعبة المشرفة، والمطاف، ومسجد البيعة، وأعلام عرفة، وعين زبيدة وغيرها. انظر: الفاسي، شفاء، ١/١٦٤، ٤٢١، ٤٨٧، ٥٥٤.

(٤١) الفاسي، شفاء، ١/٤٤٠.

(٤٢) الفاسي، شفاء، ١/٤٤٠. وابن فهد، إتحاف، ٣/٥٦١.

(٤٣) الفاسي، شفاء، ١/٤٤٠.

أما في العصر العثماني فقد عمر هذا المسجد مرتين: الأولى في عهد السلطان مراد خان[٤٤]، والثانية في عهد السلطان أحمد خان، بمباشرة إبراهيم آغا المعمار، حيث ذكر السنجاري في أخبار سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م[٤٥]: "دخل مكة إبراهيم آغا المعمار...، ومعه ثلاثة أوامر لمولانا الشريف وللقاضي وللباشا صاحب جدة، ومضمونها: النظر والالتفات إلى عمارة دار الخيزران وغيرها...، وشرع المعمار في عمله، وأشرف على دار الخيزران...".

وذكر الطبري - أن إبراهيم آغا المعمار - "جددها من أساسها إلى فوقها، وجعل فيها قبة عظيمة وطاجنين [قبتان صغيرتان]، وطبطب سطحها بالنورة"[٤٦]. (اللوحتان ٧، ٨).

وقد سُجِّل تاريخ هذه العمارة في لوح تأسيسي من الرخام، كان مثبتاً فوق الباب، مكون من ستة أسطر، بخط ثلث جميل، كل سطرين منها متقابلان على غرار كتابة الأبيات الشعرية، وذلك على النحو الآتي[٤٧]:

السطر الأول:

هذه دار سيدنا أرقم رضي الله عنه المسماة

بدار الخيزران وقد دخلت في حوزة ميراث شيخ الإسلام

---

(٤٤) الكردي، التاريخ، ٢/٩١.

(٤٥) علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ج٥، تحقيق ملك محمد خياط، ط١ (مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٩هـ/١٩٨٩م)، ٢٦١، ٢٦٢.

(٤٦) محمد بن علي بن فضل المحبي الطبري، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن وولاية قتادة، مخطوط مصور على ميكرو فلم، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، رقم ١٩٠٣، ورقة ١٤١. والكردي، التاريخ القويم، ٢/٩١.

(٤٧) الكردي، التاريخ القويم، ٢/٨٨. وحسين عبدالعزيز حسين شافعي، الرباط في مكة المكرمة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ١٨.

السطر الثاني:

حلال معضلات الأنام باهر الفضل طاهر الأصل

السيد فيض الله ابن السيد محمد حبيب المفتي

السطر الثالث:

بالسلطنة العثمانية أدامه الله تعالى بالفضائل

السنية في سنة ثلث عشرة ومائة وألف

وقد ذكر المكي أن هذا المسجد جددت عمارته في عهد السلطان العثماني محمود خان الثاني بن عبدالحميد الأول (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/١٨٠٨-١٨٣٩م)[٤٨]، وأورد أيضاً أن السلطان العثماني عبدالحميد خان الثاني بن عبدالمجيد الأول (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م) قد وجه الوالي عثمان نوري باشا بترميم هذا المسجد، حيث رممه ضمن مجموعة من المباني التي رُمِّمت في مكة المكرمة[٤٩].

وقد وصف هذه العمارة الرحالة الذين زاروا مكة المكرمة في أواخر العصر العثماني، فقد وصفها البتنوني بقوله[٥٠]: "وباب هذه الدار يفتح إلى الشرق، ويدخل منه إلى فسحة سماوية طولها ثمانية أمتار في عرض أربعة، وعلى يسارها إيوان مسقوف على عرض نحو ثلاثة أمتار، وفي وسط الحائط التي على يمينها باب يدخل منه إلى غرفة طولها ثمانية أمتار في عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصير"، ثم وصفها إبراهيم رفعت باشا بوصف لا يخرج عن الوصف السابق[٥١].

(٤٨) محمد أمين المكي، الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان في الحرمين الشريفين، ترجمة سعد الدين أونال، نسخة غير منشورة من الترجمة محفوظة في معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بخط اليد، ٣١.

(٤٩) المكي، الآثار، ٣.

(٥٠) البتنوني، الرحلة، ٥٥.

(٥١) باشا، مرآة، ١/١٩٢ - ١٩٣.

أما هيكل فقال عنها(٥٢): "ودار الأرقم أو الخيزران من أشهر هذه الدور وأثبتها نسباً، وهي تثير في النفس ذكرى من أروع الذكريات في حياة محمد عليه السلام، فقد كان يجلس في هذه الدار يوماً مع أصحابه والإسلام لا يزال في أول عهده، وقريش تحاول القضاء عليه...؛ وقد ذهبت إلى زيارتها على مقربة من الصفا، وانعطفت إليها في طريق من حارة الباب، وأشار الشيخ عبدالحميد إلى باب مغلق، وقال لي: هذه هي الدار".

وفي عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - أعيد توظيف هذه الدار بجعلها مدرسة للحديث عرفت باسم مدرسة دار الحديث المكية(٥٣).

وهكذا اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن هذه الدار اشتراها من أبناء الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، ثم منحها لابنه المهدي، الذي أهداها بدوره لزوجته الخيزران، ثم انتقلت ملكيتها بعد ذلك إلى عدد من الملاك، من أبرزهم شخصية تدعى غسان بن عباد، ثم السلطان العثماني مراد خان، ثم الشيخ فيض الله المفتي بالسلطنة العثمانية، ويعكس تعدد الملكيات لهذه الدار أهميتها ومكانتها في نفوس المسلمين، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الدار اشتهرت خلال القرون الإسلامية المختلفة باسم "دار الخيزران".

كما اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أهمية هذه الدار، والأدوار الدينية والتاريخية والحضارية التي أدتها، مما أسهم في نشر الإسلام، فإلى جانب دورها الأصلي المتمثل في اتخاذها مسكناً لآل الأرقم،

---

(٥٢) هيكل، في منزل الوحي، ٢٣٣.

(٥٣) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، ط١ (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سلسلة نصوص وأبحاث جغرافية تاريخية عن جزيرة العرب رقم ٩، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ٤٧٩ حاشية ١ المحقق. وقد هدمت القبة عام ١٣٤٣هـ. الكردي، التاريخ، ٩١/٢، نقلاً عن: الغازي في إفادة الأنام.

فقد قدر لها أن لا تكون كذلك بعد ذلك، حين أصبحت قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة مدرسة ومسجداً ومقراً لنشر الدعوة إلى الإسلام، ثم في لحظة تاريخية حاسمة أخذت دوراً إعلامياً خطيراً، تمثل في خروج الرسول ﷺ وأصحابه منها، لإعلان الإسلام والمجاهرة بالدعوة إليه، دون خوف أو وجل بعد إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم بعد ذلك أدت دور المسجد، ثم دور المدرسة التي يدرس فيها الحديث النبوي الشريف، ثم بعد إدخالها في المسجد الحرام في التوسعة السعودية الأولى أصبحت جزءاً منه، فهي إذاً بيتٌ من بيوت الله على هذه الأرض رغم تنوع وظائفها التي مرت بها.

ملاحق البحث

اللوحات

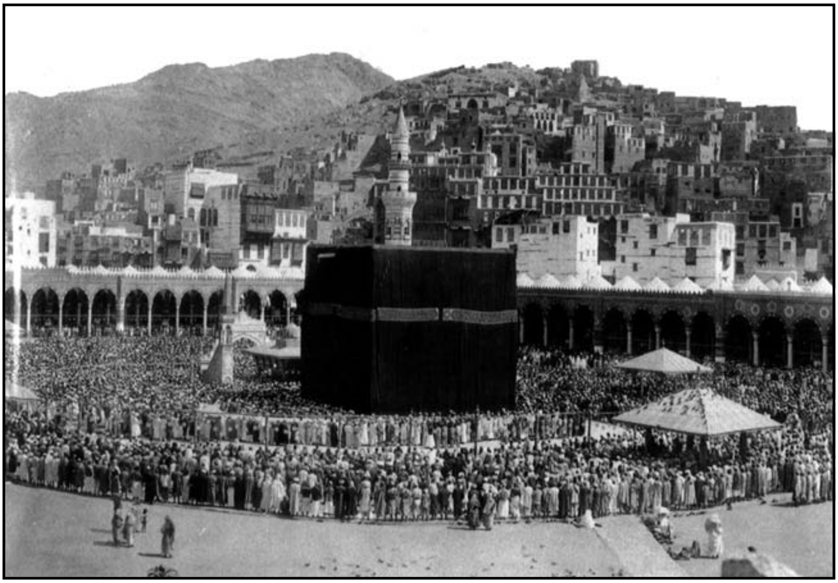

لوحة رقم (١)

منظر عام لمنطقة الدار قبل إدخالها في التوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام، نقلاً عن: فيسي وغرانت، المملكة، ص ٣٠.

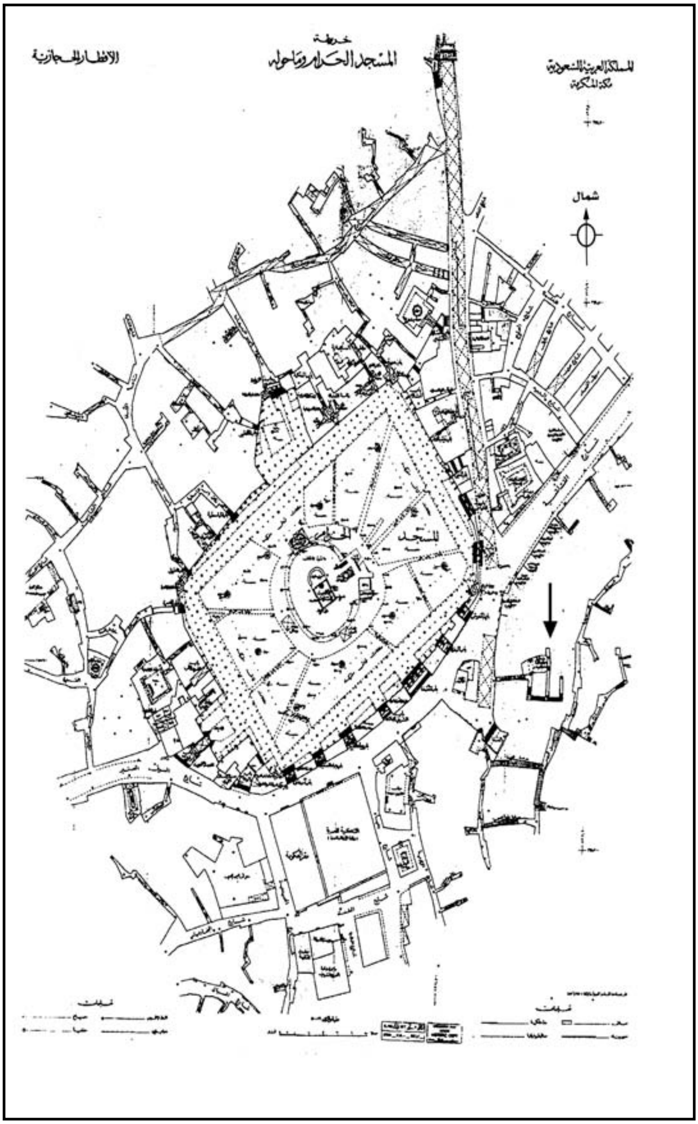

لوحة رقم (٢)

خريطة للمسجد الحرام والأحياء المحيطة به.

وتلحظ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد، نقلاً عن: خريطة هيئة المساحة المصرية.

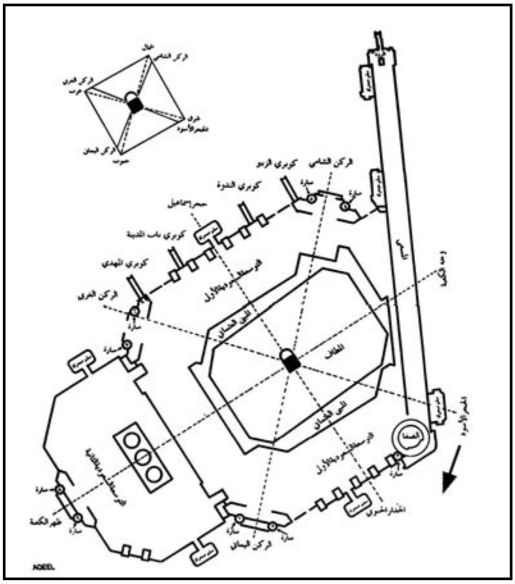

لوحة رقم (٣)

مسقط أفقي للمسجد الحرام، وقد وقع الباحث دار الأرقم بن أبي الأرقم على المسقط، والخريطة نقلاً عن: محمد إلياس عبدالغني، تاريخ مكة قديماً وحديثاً ص ٨٨.

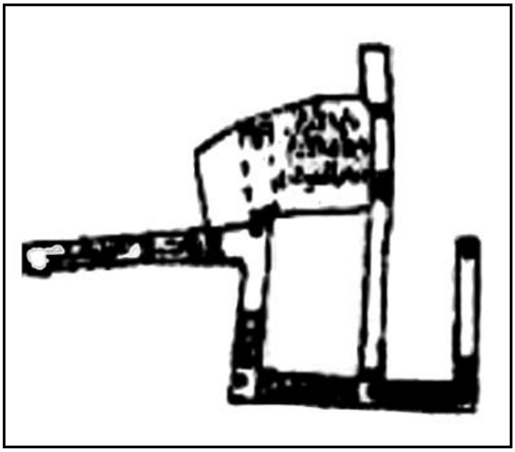

لوحة رقم (٤)

مسقط أفقي لموقع دار الأرقم مكبر من خريطة هيئة المساحة المصرية.

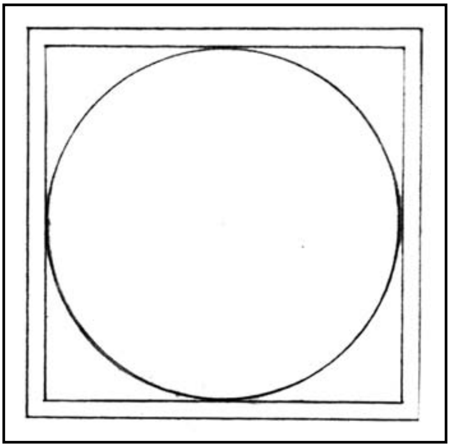

لوحة رقم (٥)

مسقط أفقي تخيلي من عمل الباحث لدار الأرقم كما وصفها ابن جبير والفاسي.

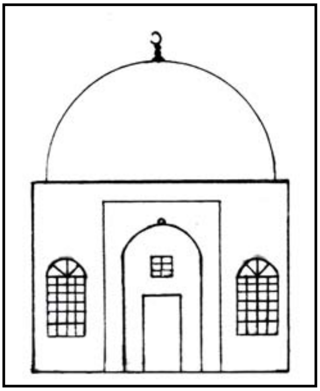

لوحة رقم (٦)

قطاع رأسي تخيلي من عمل الباحث لواجهة مدخل دار الأرقم في عهد الفاسي.

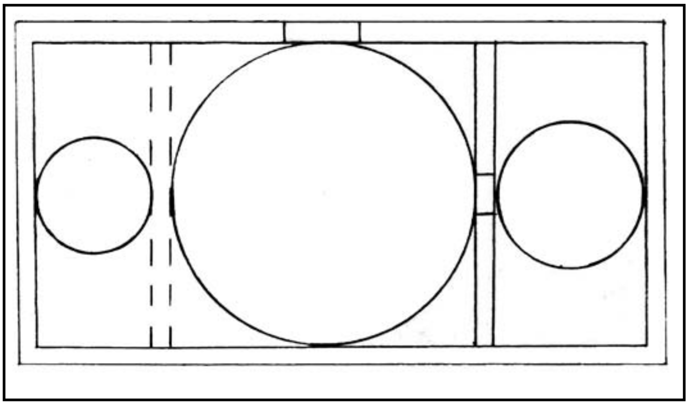

لوحة رقم (٧)

مسقط أفقي تخيلي من عمل الباحث لدار الأرقم بعد إتمام عمارتها عام ١١١٣هـ.
كما وصفها البتنوني وإبراهيم باشا.

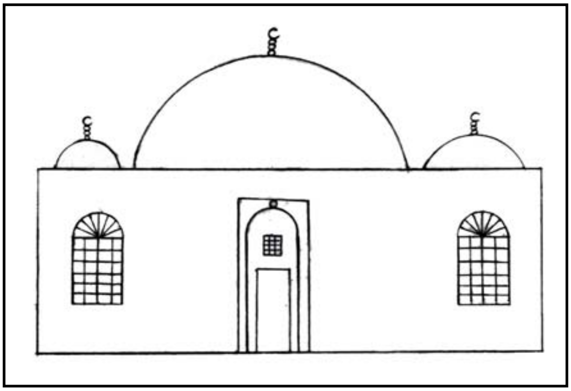

لوحة رقم (٨)

قطاع رأسي تخيلي من عمل الباحث لواجهة مدخل دار الأرقم بعد إتمام عمارتها
عام ١١١٣هـ.

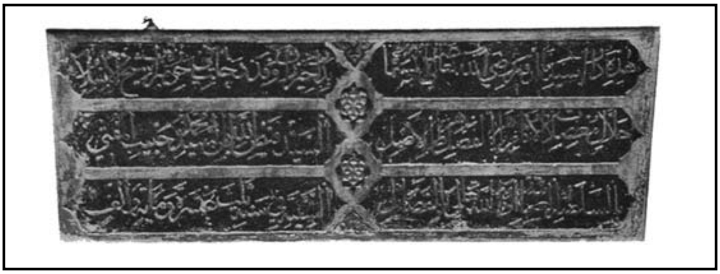

لوحة رقم (٩)

صورة النقش التأسيسي الذي يؤرخ لعمارة دار الأرقم عام ١١١٣هـ، نقلاً عن: الكردي، كتاب التاريخ القويم، ٢/٨٨.

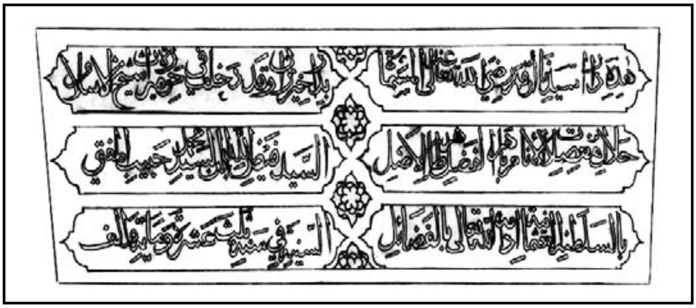

لوحة رقم (١٠)

تفريغ النقش الكتابي السابق.